من تراب الطريق

(٣٨٩) ليس من الإسلام (*) قتل الأبرياء !

(١)

ما حدث فى نجع حمادى عشية عيد الميلاد المجيد ، يدينه الإسلام ويشجبه ولا يقره ولا يسمح به ويعتبره خروجًا عن واحة الدين وما أمر به القرآن الحكيم .. وليس يبرره أو يشفع فيه أن يكون شاب مسيحى ـ فيما يقال ! ـ قد اغتصب فتاة مسلمة بإحدى القرى هناك من شهرين .. فجريمة الاغتصاب تلحق بالمغتصب ، وعقوبته مغلظة تصل للمؤبد فى القانون الوضعى وتصل إلى الإعدام فى شريعة السماء .. ولكن جريرته لا تلحق ولا يجوز أن تلحق بسواه ، لا بأحدٍ من ذوى قرباه ، ولا بأحدٍ من ديانته أو طائفته أو ملّته .. بهذا أمر القرآن الحكيم ..

القرآن الحكيم هو الذى علمنا تقديس الروح الإنسانية .. فى المسلم وفى غير المسلم .. فالكرامة وقداسة الروح هى لكل بنى الإنسان .. ففى القرآن المجيد : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠] سبحانه وتعالى هو الذى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:٣، ٤] .. سبحانه خلق الإنسان فسواه وعدله ، وهو سبحانه القائل : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ

(*) المال ١٣/ ١/ ٢٠١٠

أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠] .. ويقول جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠] هذه الأرواح خلقها الله ، وأمْرها له سبحانه وتعالى ، وروح الواحد هى روح الناس جميعا ، وفى القرآن الحكيم يقول رب العزة : ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] ، فهذه الحياة هبة ربانية مقدسة ، لكل إنسان بل وفى الحيوان .. وفى صحيحى البخارى ومسلم من حديث رسول القرآن عليه السلام : «ليس من نفسٍ تُقتل ظلما ـ إلاّ كان على ابن آدم الأول (قابيل) كفل من دمها ، أنه أول من سن القتل» ، وفى الحديث أيضا : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل نفس بغير حق». «وأن قتل النفس التى حرم الله ـ من السبع الموبقات» !

يعلمنا الإسلام ، الذى قدس الروح الإنسانية ، أن قتل الأبرياء ـ ناهيك بقتلهم غيلة ـ من أشد الموبقات ، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٩٣] ، وعلمنا أن المسئولية فى الدنيا وفى الآخرة لا تلحق بأحد إلاّ عن فعله هو لا عن فعل أو عمل غيره ..لا مجال فى شرعة الإسلام لأن يتحمل أحد أو يُحمل بوزر أو خطيئة غيره حتى لو كان من أقرب ذوى قرباه .. ففى القرآن الحكيم : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣] ، وفيه أيضا : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥] .. من مبادئ

المسئولية فى شرعة القرآن الحكيم أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، فيقول الحكم العدل : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤ ، فاطر:١٨] ، وفى سورة النجم ، قال عز من قائل : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨ ، ٣٩] .. لا يُمنح الثواب ، ولا يقر الجزاء ، إلاّ لقاء العمل الشخصى .. خيرا أو شرا .. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] .. لا يعرف الإسلام عقوبة تصيب بريئا ، ولا شهادة تجامل قريبا ، أو شنآنا يبرر تحاملًا .. فالشاهد لا يشهد إلاّ بالحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥] ، ولا يبرر له شنآن فرد أو جماعة أو قوم أن يحيد فى عمله أو سلوكه أو شهادته عن العدل أو الحق ، فإنصاف الشانئ نفسه واجب ، ولا يسقط شنآنه واجب العدل والتزام الحق معه ، بل يجب على المسلم أن يعدل معه فى كل الأحوال ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] .

فالله سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الصف: ٩] ، وهو سبحانه الذى أمر رسوله بأن يبلغ الناس رسالة ربه بأنه عز وجل ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠] ، وأنه تعالت حكمته : لا يقبل الظلم لأحد ، مسلما كان أو غير مسلم ، ويقول فى كتابه المبين : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] .